مزامير يوميّة: أسئلة الشّجن الفاتن

بقلم: منذر عبد الحرّ/ العراق

تحيلُ نصوص" مزامير يوميّة " للمبدع عبّاس داخل حسن , إلى الفيض الوجدانيّ المنطلق من أحزانٍ أسطوريّة يعيشها الفرد السومريّ , المتعطّش للحياة , وهو يغرف من أنهار الجمال مياه التعبير , الباحث عن عشبة الخلود عبثاً , المغني للفقدان , الراحل ... خلف أمواجٍ تأخذ أمنياته الملقاة على جرفٍ لعوب

هكذا أبدأ , بهذا الانسياب التأملي , وأنا أقرأ المزامير , التي تفصح تقنيتها عن خطابٍ إنشاديّ سرديّ , لا ينزل إلى الاستطراد الحكائي , ولا يصعد إلى التجريد , بل يطلق طيور أسئلة , تنهلُ من شكل المزامير جغرافيتها , وتأخذ من تعبير الشجن الجنوبيّ الإنسانيّ تعبيراتها , ثم تفتح الباب على رؤى قصيرة , تنتمي بقوة لمفهوم القصة القصيرة جدا , فهي لقطات , وشحنات , وحالات , تنسج حكايات متكاملة , ولكن بالبناء السردي عليها , باعتبارها بؤرة دالة على فيض من الأحداث على المتلقي التماهي معه , والبناء الخاص منه , حسب ما تفصح عنه دلالات كل قصة قصيرة جدا .

أحالتني ذاكرتي وأنا أقرأ القصص القصيرة التي تلت شحنات المزامير , إلى ناتالي ساروت وانفعالاتها , لا تشابه أو تأثّر من عباس داخل حسن , بهذه القصص , بل لأن هذا الفن القصصي , لابد أن يحيلنا إلى المقدمة المهمة التي كتبها فتحي العشري كمقدمة لانفعلات ساروت , وحملت عنوان" ساروت والانفعالات والرواية الجديدة" لما تضمنته هذه المقدمة من آفاق نقديّة , وحقول بحث في التوجهات السرديّة الحديثة , ولعل النمطين الذين ركّز عليهما العشري , وهما " الشيئية" و" الباطنيّة " , وقد سماهما بالمدرستين , وأعطى الأولى تسمية" النظرة" باعتبارها تجعل من الكائنات أشياء وتتعامل

معها , فيما تلجأ الثانيّة للرؤى المستبطنة , ورغم أن هذا التشخيص , اعتمد التجارب الروائية المعروفة في فحصه وتطبيقه , لكنه شمل بها فن القصة القصيرة جدا , ذلك الذي يبثُّ كشحنات حكائية , يجمعها فضاء سردي خفيّ واحد , على القارئ أن يسهم في الكشف عنه .

عباس داخل حسن في مجموعته المهمة " مزامير يوميّة" لا يضع نصوصه ضمن نمط محدد من النمطين , فهو يجمع بينهما في الكثير من لمحاته القصصية , فمثلا يقول في قصة دهقان" :

بعد الوخزة الأولى حاولَ الإطباقَ عليها بكلتا يديهِ ، باءتْ محاولتُهُ بالفشل , نشَّها بكفِّه اليُمنى ثم ثالثةً.. اليُسرى ، خرشته في أرنبة أنفه ثانيةً

طارت أمام ناظريهِ محلقة بعيداً ، بعناد شديد . انتابه شعور قاسٍ بالهزيمة لحدِّ القهر . " هذا النموذج السردي القصير , حمل البعدين , النظري" الشيئي " والباطني , ليعبّر عن حالة متضاربة المشاعر والأحاسيس , موجزة الإشارة , مكتملة الشحنة , مفتوحة الدلالة , نعم , فالرمز متحرر من إحالة محددة , وهذا يمنح النص قدرة على الإفاضة الجمالية والتأمل الذكي والمغامر أيضا في مثل هذا الفن الصعب , أما الذكاء فيأتي من الاختزال والتكثيف ودقة النحت في اللغة , وأما المغامرة , فتكمن في الإطار النظري لمثل هذا النص , ونصوص أخرى في المجموعة .

القراءة المتأنية لنماذج أخرى من المجموعة تأخذ مديات , يجب أن نتسع بها نظريا , وبذلك باستطاعة الباحث والدارس المتأمل لمزامير يومية , أن ينشيء نصا جماليا محاذيا لها , لما تبثّه من إيحاءات متعددة , ولما تضمره من رؤى تعبيريّة .

لذلك ستكون لي وقفة تفصيلية طويلة مع هذا المشروع ذي التميّز , والطاقة المدهشة في جمالية التعبير والبناء , مع أجمل تمنياتي لصديقي المبدع العذب عباس داخل حسن .